انه قال سالتني قريش عن اشياء فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ما سالوني
عن شيء الا انباتهم به قوله ولذلك تعجب قريش واستحالوه بناء على ان ارتفاع الجسد من مكة
الى بيت المقدس ثم منه الى ما فوق العرش في مقدار ثلث الليل مما لا يقبله العقل قال الامام
ومما يدل على جوازه عقلا انه ثبت في الهندسة ان قرص الشمس مساوي كرة الارض مائة
وستين مرة وكذا وكذا ثم انا نشاهد ان طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع وذلك يدل
على ان بلوغ الحركة في السرعة الى الحد المذكور امر ممكن في نفسه غاية ما في الباب انه يبقى التعجب
الا ان مثل هذا التعجب لا يختص بهذا المقام بل هو حاصل في جميع المعجزات فمجرد التعجب
لا يستلزم الانكار والبطلان وايضا كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف من
مركز العالم الى ما فوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق
العرش الى مركز العالم فان كان القول بمعراج محمد صلعم في ليلة واحدة ممتنعا كان القول
بنزول جبرئيل عم من العرش الى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعا ولو حكمنا بهذا الامتناع كان
طعنا في نبوة جميع الانبياء عم والقول بثبوت المعراج متفرع على تسليم اصل النبوة فثبت
ان القائلين بامتناع حصول حركة جسمانية سريعة الى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول
جبرئيل عم في لحظة واحدة من العرش الى مكة ولما كان ذلك باطلا كان ما ذكروه ايضا باطلا
فان قالوا نحن لا نقول ان جبرئيل جسم ينتقل من مكان الى مكان وانما نقول المراد من
نزول جبرئيل عم هو زوال الحجب الجسمانية عن روح محمد صلعم حتى يظهر في روحه من
المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضرا متجليا في ذات جبرئيل عم قلنا تفسير
الوحي بهذا الوجه هو قول الحكماء فاما جمهور المفسرين فهم يقرون بان جبرئيل جسم ونزوله
عبارة عن انتقاله من عالم الافلاك الى مكة واذا كان كذلك كان الالزام المذكور قويا وهذا
هو ما ذهب اليه الاكثر من طوائف المسلمين وذهب الاقلون الى انه عم
ما اسرى بروحه وروي عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد محمد صلعم وانما
اسرى بروحه وحكي هذا القول عن عائشة رض وعن معاوية والذي ذهب اليه اهل التحقيق
انه تعالى اسرى بروح محمد صلعم وجسده من مكة الى المسجد الاقصى واختلف العلماء في ان
الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة او كل واحد في ليلة فمنهم من زعم ان الاسراء وقع في
اليقظة والمعراج في المنام وذهب اخرون الى ان الاسراء وقع مرتين مرة بروحه مناما
ومرة بروحه وجسده يقظة وذهب اخرون الى تعدد الاسراء في اليقظة فقال انها
اربع اسراءات لتعدد الروايات في الاسراء واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيئا لم يذكره

يذكره الآخر وبعضهم يسقط ذكره الآخر وهذا لا يدل على التعدد لان بعض الروايات
قد يحدث بعض الخبر لعلمه به ونسيانه البعض الآخر او يذكر ما هو الاهم عنده او يبسط
تارة فيسوق الخبر كله وتارة يحدث المخاطب بما هو الانفع له قوله وصرف الكلام
من الغيبة يعني ان الجمهور قرؤا لنريه بنون العظمة على اسلوب قوله باركنا فهو التفات
من الغيبة في قوله اسرى بعبده الى التكلم في باركنا وفي لنريه ثم التفت من التكلم الى الغيبة
في قوله انه هو السميع ففي الكلام التفاتان وقرئ ليريه بياء الغيبة وعلى هذه
القراءة يكون في الآية اربع التفاتات لانه التفت اولا من الغيبة في قوله اسرى بعبده
الى التكلم في قوله باركنا ثم التفت ثانيا من التكلم في باركنا الى الغيبة في ليريه على هذه
القراءة ثم التفت ثالثا من هذه الغيبة الى التكلم في آياتنا ثم التفت رابعا من هذا
التكلم الى الغيبة في قوله انه ثم التفت خامسا من هذه الغيبة الى التكلم في قوله وآتينا
موسى الكتاب وهو معطوف على الجملة السابقة الدالة على تنزيه الله تعالى على طريق عطف
الجملة على الجملة ذكر الله تعالى اكرامه محمدا صلعم بانه اسرى به وذكر في هذه الآية اكرام موسى
عم بالكتاب الذي آتاه والضمير المنصوب في جعلناه يحتمل ان يكون للكتاب وهو الظاهر
والمعنى دللناهم به على الهدى وان يكون لموسى قال ابو البقاء الا تتخذوا يقرأ بياء الغيبة
فالتقدير جعلناه هدى لئلا يتخذوا والهاء في الكتاب لئلا يتخذوا ويقرأ ايضا بالتاء على
الخطاب انتهى ووجهها وجهان احدهما ان يكون بمعنى اي وهي مفسرة لما تضمنه الكتاب من الامر والنهي
وثانيهما ان يكون ان زائدة مخافة ان يتخذوا وقد رجع في هذا من الغيبة الى الخطاب
قوله على ان لا يتخذوا اي على ان يكون الا مركبة من ان المفسرة ولا الناهية على طريق
قولك كتبت اليه ان افعل كذا فان فيه مفسرة للمفعول المقدر للفظ كتبت اي كتبت اليه شيئا
هو افعل كذا فكلمة ان حرف دال على ان افعل كذا تفسير للمفعول المقدر لكتبت الدال على معنى
القول والمؤدي معناه فكذا ان التي في الآية مفسرة بمعنى اي تفسير ما تضمنه الكتاب
من التكاليف فان بني اسرائيل على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا يتكلون اليه
امورهم ومعنى تكليفهم بان يعبدوا الا باستثناء جميع ما كلفهم الله تعالى من الاوامر والنواهي
ولا يفوضوا الى احد سواه نفوسهم ومطالبهم ورؤساهم الضالون وقرأ ابو عمرو الا يتخذوا
بياء الغيبة جريا على قوله لبني اسرائيل والباقون بتاء الخطاب بتقدير القول اي قلنا لهم في التوراة
فكذا اي لا تتخذوا من دوني احدا يتكلون اليه امورهم وهو ابطال لقولهم ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى ويشفعوا لنا وكلمة ان في قراءة ابي عمرو مصدرية لا جله الفعل

Copyright © King Saud University